

( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا )

السييل : الطريق

العدد التجريبي الثالث

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

# تفسير القرآن الحكيم

يسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الله

المتصف وجوباً بالكمال الذاتى الذى لا حد له ، الذى أفاض كماله على الممكنات بحسب وسعها فوجب عليها شكره الشكر اللائق به ، وهو أعلى مرتبة فى التعظيم والحب وكذلك الرجاء والخوف - وهى العبادة - مع سلوك سبيل الكمال الذى يرضيه أنه عبد وإله فزع إليه والتجأ ، فهو وحده الذى لا يستند الخلق إلا إليه ، لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ، إليه يرجع الأمر كله ، يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد .

وفى البحر للشيخ أبى حيان الحمد والشكر بمعنى واحد ، أو الحمد أعم ، أو الشكر ثناء على الله تعالى بأفعاله والحمد ثناء بأوصافه ، ثلاثة أقوال أصحها أنه أعم ، فالحمد قسمان شاكر ومثن بالصفات .

وفى القاموس المحيط الحمد الشكر والرضا والجزاء وقضاء الحق .

ونقل الحافظ ابن كثير عن جماعة من المحققين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلا على المتعديات ، ويكون بالجنان واللسان والأركان ، كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين ، والتحقيق أن بينهما عموماً وخصوصاً ، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ، لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه ، وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول ، والشكر أعم من حيث ما يقعان به لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم ، وهو أخص لأنه

لا يكون إلا على الصفات المتعدية ، لا يقال شكرته لفروسيته وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه .

فالحمد يكون على الصفات اللازمة والمتعدية للغير وللشخص الحامد ، والشكر يكون على الصفات المحمودة المتعدية للشاكر خاصة .

ويتلخص من هذا أن الحمد يشمل الشكر إما بطريق التضمن أو الالتزام .

وفى تبصير الرحمن فى التفسير : " الحمد ذكر اللسان - على سبيل التعظيم - كمال ذى علم واختيار - وهو ما يرفع حال المحمود وينوه بعلو مقامه ، ومن لا اختيار له فى إسداء المعروف لا يستحق ثناء - سواء كان الكمال ذاتياً كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص ، أو وصفاً ككون صفاته كاملة واجبة ، أو فعلياً ككون أفعاله مشتملة على حكمة فأكثر .

آثره على المدح الذى هو ذكر اللسان كمال الشئ ذا علم أولاً ، لأن الكمال الذى لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالاً مطلقاً ، ويقابل المدح الذم .

وآثره على الشكر وهو مقابلة الإنعام بالتعظيم ذكراً باللسان واعتقاداً بالجنان وخدمة بالأركان مع صرف ما أنعم به لأجله ، لأن الشكر وإن عم جهات الشاكر قصر عن الإحاطة بكمال المشكور ، إذ لا يتعلق بالمحامد اللازمة للمنعم ، وإنما يتعلق بالمتعدية للمنعم عليه ، والشكر يقابله الكفران ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (( من لا يشكر الناس لا يشكر الله )) رواه الإمام أحمد والترمذى من حديث أبى سعيد رضى الله تعالى عنه وسنده صحيح .

وآثره على الثناء الذى هو ذكر الأوصاف كمالات أو نقائص ، وفى الصحيح : (( أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر عليه بجنابة فآثنوا على صاحبها خيراً فقال : وجبت ، ثم مر بأخرى فآثنوا على صاحبها شراً فقال : وجبت ، فلما سأله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من آثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن آثنتم عليه شراً وجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض )) ، وهو بهذه الصيغة يفيد الحصر " انتهى بتصرف .

ورب يرب بالضم ربا من باب نصر ، رب القوم ساسهم ، سادهم وكان فوقهم ، ومنه : لأن يربنى رجل من قريش خير من أن يربنى رجل من خزاعة ، ورب زيد الأمر ساسه وقام بتدبيره ، ولذا قيل للحاضنة رابة وربيبه أيضاً فعيلة بمعنى فاعلة ، وقيل لبنت امرأة الرجل ربيبة بمعنى مفعولة لأنه يقوم بها غالباً تبعاً لأمها ، والابن ربيب جمعه أرباء كدليل وأدلاء ، ورب النعمة زادها وقام بإصلاحها ، ومنه فى الحديث الصحيح قول الملك لرجل زار أخاً له فى قرية (( هل لك عليه من نعمة تربها ؟ )) أى تقوم بها وتسعى فى صلاحها ، ورب الشئ جمعه وملكه والأمر أصلحه ، ورب بالمكان أقام ، ورب الولد رباً وربيه تربيباً رباه حتى أدرك .  
والرب يطلق على الله تعالى مُعرفاً بالألف واللام ومضافاً ، ويطلق على مالك الشئ مضافاً إليه ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى ضالة الإبل : (( حتى يلقاها ربها )) ، وقوله : (( حتى تلد الأمة ربتها )) وفى رواية (( ربها )) ، وفى التنزيل حكاية عن يوسف عليه السلام ( أَمَا أَحَدُكُمْ مَا يَسْتَفِي رَبُّهُ خَمْرًا )<sup>(١)</sup> .

قالوا : ولا يجوز استعماله بالألف واللام للمخلوق بمعنى المالك لأنها للعموم ، والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات ، ويحى لغيره سبحانه مضافاً تقول : رب الدار أو رب كذا ، وربما جاء باللام عوضاً عن الإضافة إذا كان بمعنى السيد ، قال الحارث :

فهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء والبلاء

وفى الحديث الصحيح (( لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ولا يقولن المملوك ربى وربتى وليقل المالك فتاى وفتاتى وليقل المملوك سيدى وسيدتى ، فإنكم المملوكون والرب الله تعالى )) رواه الشيخان وأبو داود عن أبى هريرة مرفوعاً .

وقال الشيخ أبو حيان والرب السيد والمالك والثابت والمعبود والمصلح والصاحب وعن بعضهم بمعنى الخالق ، وفى القاموس رب كل شئ مالكة ومستحقة أو صاحبه .

وأخرج الحاكم فى المستدرک عن أبى الدرداء وابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهما قالوا :  
اسم الله الأكبر رب رب .

### العالمين

العالم اسم جمع لا مفرد له كالأنام واشتقاقه من العلم أو العلامة ، وجمع لاختلاف أنواع  
المصنوعات بالواو والياء على جهة تغليب العقلاء لأنهم المقصودون بالتكليف ، وقال الأزهري  
فى عالم : " هو اسم بنى على مثال فاعل - بفتح العين - كخاتم وطابق ، وكان العجاج يهمله  
ولا يجمع فاعل غيره وغير يا سم " انتهى .

ويطلق على الأمم من أهل زمن خاص ، ومنه قوله تعالى فى مريم : ( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ  
وَوَهَّبَ لَكَ إِسْمًا عَلِيًّا )<sup>(١)</sup> أى فى زمانها ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :  
( ( خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد ) ) أخرجه الشيخان وغيرهما ،  
أى مريم فى زمانها وخديجة فى زمانها ، ومنه قوله تعالى فى بنى اسرائيل : ( وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى  
العالمين )<sup>(٢)</sup> ، قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية : " بما أعطوا من الملك  
والرسل والكتب على عالم من كان فى ذلك الزمان فإن لكل زمان عالماً " .

وقد قال تعالى : ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ )<sup>(٣)</sup> ، فأفضل الأمم هذه الأمة المحمدية  
وأفضل الرسل رسولها صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال تعالى فى صلى الله عليه وآله وسلم : ( لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا )<sup>(٤)</sup> وخاطب على لسانه  
الثقلين : ( سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ )<sup>(٥)</sup> ، والثقلان الإنس والجن ، كما جاء فى الصحيح يسمعه  
كل شئ إلا الثقلين وفى رواية الإنس والجن ، وفى حديث السور الثقلان الإنس والجن .

وبين صلى الله عليه وآله وسلم أن الجن كانت أحسن استماعاً للقرآن ، أخرج الترمذى عن جابر رضى الله تعالى عنه : (( خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال : لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم كلما أتيت على قوله : فبأى آلاء ربكما تكذبان ، قالوا : لا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد )) .

وقال الفراء وأبو عبيد : " العالم عبارة عما يعقل ، وهم الجن والإنس والملائكة والشياطين " انتهى ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عائشة قالت : قال صلى الله عليه وسلم : (( خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم )) ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق . وعن زيد بن أسلم : " العالم هو ما له روح ترفرف " ، وقال قتادة : " رب العالمين كل صنف عالم " انتهى ، فالعالمون الخلائق جميعها .

### الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الحمد لله بجميع وجوهه مقصوراً عليه سبحانه ، حمد : مرتبة الوجوب وليست إلا له عز شأنه فإن له الكمال الذاتى لا لسواه ، وبلسان مراتب الإمكان الحمد الشامل لجميع الأثنية والمحامد الصادرة عن السنة ذرات الكائنات المتوجهة نحو مبدعها طوعاً أو كرهاً من حيث افتقارها الذاتى إليه سبحانه ، المعترفة بشكر منعمها حالاً ومقالاً أزلاً وأبداً من حيث إفاضته تعالى الكمالات - بنسبتها - عليها ، ( اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ )<sup>(١)</sup> ، ( وَمَا يَكُم مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ )<sup>(٢)</sup> . وحمد الحق سبحانه لذاته لا يدرك لأنه لا يعلم كماله غيره ، (( سبحانه أنت كما أثنت على نفسك لا نحصى ثناء عليك )) .

وحمد الكائنات لبارئها اعتراف للحق بكماله الذى لا يحد وإقرار بأنه سبحانه هو وحده الغنى ، الغنى الذاتى المطلق ، وهو وحده المنعم عليها ، لا شريك له فى الخلق وفى الإنعام ، ففيه الشكر عملاً وحالاً .

والحامد لربه صدقاً قد عاهد مولاه أن لا يستعمل نعمه إلا فى مرضيه ، فإن عاش وفى ، وإن مات فقد وقع أجره على الله ، والحمد كما يكون على السراء يكون على الضراء ، فإن الموقن باختصاصه سبحانه بالكمال الذى لا تدرك له غاية يجزم بأن الله عز شأنه فى كل بلاء نعماً وحكماً ، ( وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )<sup>(١)</sup> ، وفى المسند والترمذى عن أبى سنان عن أبى موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (( إذا مات ولد العبد قال الله للملائكة : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد )) وهو حديث حسن .

وفى الموطأ أن المريض إذا حمد الله وأثنى عليه رفع الملكان ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول : (( لعبدى على إن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته ))

قال تعالى : ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ )<sup>(٢)</sup> .

رب العالمين بجميع أجناسها وأنواعها ومراتبها ، ربهم بجميع أنواع الربوبية ، ومن أجل بصر بصيرته فى تربية الحق للعالمين ورعايتهم برحمانيته الواسعة دهش فى جنان عجائب الحنان المقدس الذى غمر الكائنات بأجمعها ( وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا )<sup>(٣)</sup> فانظر الذرة والنطفة وإبلاغها إلى ما يليق بها من كمال بالرفق والرحمة شيئاً فشيئاً حتى كانت إنساناً عليمًا

حكيماً سمياً بصيراً ، والرحمة المنبعثة في العالم ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) (١) .

وجميع ما اختلف فيه المفسرون في مدلول العالمين ينتظمه مفهوم قوله تعالى : ( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ) (٢) وهذا المعنى يشمل المخلوقات بجميع أصنافها ، فإنه تبارك وتعالى المنفرد بالربوبية وكل ما سواه مربوب له حيث لا خالق له غيره ولا منعم عليه غيره ، يسألونه بحالهم بافتقارهم الذاتي إليه سبحانه ، وذلك السؤال حمد له بالفعل على الدوام غير منقطع لا يزول ولا يحول ( يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ) ، من - لتغليب العقلاء - العالم به يسأله وغير العالم من باب أولى بلسان الافتقار بالحال والمقال ، وإن من شئ إلا يسبح بحمده ، والحمد لله رب العالمين .

محمد الحافظ التجاني



## السحاب الممطر

سمع المأمون منشداً ينشد لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :  
أترك إن قلت دراهم خالد زيارته إنى إذا للثميم

فقال : أو قلت دراهم خالد ؟ احملاوا إليه مائتي ألف درهم ، فدعا خالد بعمارة فقال هذا  
مطر من سحابك ، ودفع إليه عشرين ألفاً .

## دار الندوة فى الجاهلية

لما جاء الإسلام كانت دار الندوة فى الجاهلية بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بمائة ألف  
درهم ، فقال له ابن الزبير : بعت مكرمة قريش ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى .

## غضب الله أشد

روى أن جامعاً المحاربى قال للحجاج بن يوسف الثقفى : إن صدقناك أغضبناك وإن كذبناك  
أغضبنا الله ، وغضب الأمير أهون علينا من غضب الله ، فقال الحجاج : صدقت .

## من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عليه الصلاة والسلام : (( اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله )) رواه البخارى فى كتاب الزكاة .

### تفسيرات لفظية

اليد العليا : المراد بها اليد المحسنة المعطية ، خير : أحسن وأفضل ، اليد السفلى : يراد بها اليد المستجدية الآخذة ، من تعول : الذين تجب عليك رعايتهم والإنفاق عليهم ، ظهر غنى : أن يكون المال زائداً عن الحاجة ، يستعفف : يطلب العفة ويترفع عن سؤال الناس ، يستغن : يطلب الغنى .

### أهداف الحديث

يُخبرنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن اليد المتصدقة المحسنة أفضل وأحسن عند الله وعند الناس من اليد السائلة المستجدية ، لأن الأولى تمنح وتعطى والثانية تأخذ ولا تعطى ، ولا يخفى أن تسمية الأولى بالعليا والثانية بالسفلى هو صورة من الواقع الملموس ، لأن المعطى تكون يده فوق يد المستجدى حين الإعطاء ، وفى هذه التسمية حفز للهمم ودفع للعزائم وإنهاض للناس لأن تكون أيديهم عليا دائماً ، وتنفير من الاستجداء والتخاذل والتسول والتواكل لما فى ذلك من هدر للكرامة وإراقة لماء الوجه مما لا يليق بمسلم ولا يجدر بجر .

على أن التصدق لا يقع موقعه إلا بعد القيام بواجب الإنفاق على العيال والأهل الأقرب منهم فالأقرب ، لأنهم أولى بالرعاية وأجدر بالمعونة ، وكرامتهم من كرامة عائلهم ، وفى هذا تقوية للصلة بينه وبينهم وتوثيق للعرى ، لأن الأسرة فى نظر الإسلام وحدة متماسكة يجب أن تنال حظها من التعاون والقوة لتجد مكانها فى الدولة وتكون لبنة سليمة فى ذلك الصرح الشامخ والبناء السامق .

وخير البر والصدقة ما آثرت به من يمت إليك بصلة نسب أو قرابة أو دين وصدقة أو جوار ووطنية أجدر بمعروفك من غير الصديق ، والجار أحق بمعونتك من غير الجار ، والمسلم أولى بفضلك وبرك من غير المسلم .

وإذا لم يكن فى مالك زيادة يمكن الاستغناء عنها فلا عليك إذا لم تتصدق ، ولا حرج عليك إذا لم تبذل للمحتاج لأنك إذا تصدقت من مال أنت فى حاجة إليه لنفقة من تعول أوقعك ذلك فى الفقر ، ودفعت بنفسك إلى ذل السؤال والاستجداء ، ودفعت بعيالك وأهلك إلى وهدة الحرمان والشقاء .

والنفوس تختلف إزاء المال اختلافاً كبيراً ، فهناك من وهب له المال الوفير ومع هذا يتطلع إلى ما فى أيدي الناس ولا يتعفف عن مسألتهم ، وهناك المحتاج المضطر للسؤال اضطراراً ومع هذا لا يسأل الناس لأنه يعتقد أن الله أولى منهم بالسؤال .

والرسول الكريم يحثنا على التعفف عما فى أيدي الغير ، فلا يسأل الإنسان غير الله ، وأن تكون القناعة دين المسلم ، وألا يدع للتواكل سبيلاً إلى نفسه بل يواصل الجهد والسعى فى هذه الحياة ، وليعلم أن الجهاد فى سبيل العيش كفارة لذنوبه وآثامه ، وليعتقد أن التعفف سبيل العفة وأن الغنى نتيجة الاستغناء ، وليعتقد أن الله سيفتح له من أبواب الرزق ما يكفل السعادة ورغد العيش .

**عبد الحفيظ أبو السعود**

**المدرس بالإسماعيلية الثانوية الأميرية للبنات**

الحديث أخرجه البخارى عن حكيم بن حزام رضى الله عنه ، وبين أن هذا فى من كان عليه حق واجب ، أو لزمه دين فالدين أحق أن يقضى ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : (( من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله )) ، قال البخارى : " إلا أن يكون معروفاً بالصبر يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، كفعل أبى بكر رضى الله عنه حين تصدق بماله ، وكذلك أثر الأنصار المهاجرين " انتهى من الصحيح .

## من تاريخ سلفنا الصالح

سيدنا عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه .

نسبه : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى - ثم من بنى الحارث - يكنى أبا محمد وقيل أبو رواحة وقيل أبو عمرو ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة من بنى الحرث بن الخزرج أيضاً .

وكان ممن شهد العقبة وكان نقيب بنى الحارث بن الخزرج ، وشهد بدرأً وأحدأً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا الفتح وما بعده لأنه كان قد قتل قبله ، وهو أحد الأمراء فى غزوة مؤتة ، وهو خال النعمان بن بشير ، روى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب ، فسمعه وهو يقول : (( اجلسوا ، فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم من خطبته ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله )) ، وكان عبد الله أول خارج إلى الغزو وآخر قافل ، وكان من الشعراء الذين يناضلون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن شعره فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

إنى تفرست فيك الخير أعرفه      والله يعلم أن ما خاننى البصر

أنت النبى ومن يحرم شفاعته      يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن      تثبيت موسى ونصراً كالذى نصرنا

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (( وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة )) ، قال هشام بن عروة : " فثبته الله أحسن الثبات فقتل شهيداً وفتحت له أبواب الجنة فدخلها شهيداً " ، قال أبو الدرداء : " أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة ، كان إذا لقينى مقبلاً ضرب بين ثديى ، وإذا لقينى مدبراً ضرب بين كتفى ، ثم يقول : يا عويمر اجلس فلنؤمن ساعة ،

فنجلس فنذكر الله ما شاء ، ثم يقول : يا عويمر هذه مجالس الإيمان " ، أخبرنا عبد الله بن حمد ابن على بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : " سار عبد الله بن رواحة - يعنى إلى مؤتة - وكان زيد بن أرقم يتيماً فى حجره فحمله على حقيبة رحله وخرج به غازياً إلى مؤتة ، فسمعه زيد من الليل يتمثل بأبياته التى قال :

إذا أدنيتنى وحملت رحلى      مسيرة أربع بعد الحساء ( )  
فشأنك فانعمى وخلاك ذم      ولا أرجع إلى أهلى ورائى  
وجاء المؤمنون وغادرونى      بأرض الشام مشهور الثواء  
وردك كل ذى نسب قريب      إلى الرحمن منقطع الإخاء  
هنالك لا أبالى طلع بعلى      ولا نخجل أسافلها رواء

فلما سمعه زيد بكى ، فخفقه بالدرة وقال : ما عليك يا لكح أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل ؟ ولزيد يقول عبد الله بن رواحة :

يا زيد زيد اليعملات الذبل      تطاول الليل هديت فانزل "

يعنى انزل فسق بالقوم .

وحدثنا ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس يوم مؤتة زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أصيب عبد الله فليرتض المسلمون رجلاً فليجعلوه عليهم ، فتجهز الناس وتهيئوا للخروج ، فودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم وودعوا عبد الله بن رواحة ، بكى قالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صباة إليها ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ



روى مصعب بن شيبة قال : لما نزل ابن رواحة للقتال طعن فاستقبل الدم بيده فذلك به وجهه ثم صرع بين الصفين ، فجعل يقول : يا معشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم ، فجعل المسلمون يحملون حتى يجوزونه فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه .

قال يونس بن بكير : " وحدثنا ابن اسحاق قال : لما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : أخذ زيد بن حارثة الراية فقاتل بها حتى قتل شهيداً ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل شهيداً ، ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون ، فقال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيداً ، ثم لقد رفعوا لى فى الجنة على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت : مم هذا ؟ فقيل لى : مضياً وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى فقتل ولم يعقب ، وكان موته فى جمادى سنة ثمان ، أخرجه الثلاثة " من أسد الغابة لابن الأثير .

## الشريعة الإسلامية

الشريعة الإسلامية هي تلك القوانين السماوية التي قامت على السداد والحكمة ، فجمعت بين السهولة فى التكليف والرفق فى التشريع والاعتدال فى الأحكام ، وإن كل من يلقى نظرة فاحصة على هذه الشريعة السمحة وعلى تعاليمها الحكيمة ويوازن بينها وبين ما تقدمها من شرائع وما لحق بها من قوانين يجد أنها قد جرت فى تشريعها على وضع حكيم من الطريق الأوسط الأعدل ، قال تعالى : ( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١) .

ولقد اعترف الباحثون والمنصفون من العلماء - حتى من غير المسلمين - أن الشريعة الإسلامية انطوت على ما يسد حاجة الناس كافة فى التشريع ، فى عقودهم ، وتوثيقاتهم ، ومعاملاتهم ، ومنازعاتهم ، وأقضيتهم ، قال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم : ( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) (٢) ، ولكن المسلمين قد زهدوا فى تراثهم هذا ، وجهلوا قيمة هذه التركة التى تحت أيديهم ، ولم يحسنوا القيام عليها ، ولم يبرهنوا على أنهم أهل للاستفادة منها ، ولو كان هذا الكنز الثمين مما ورثه الأوروبيون عن أسلافهم لكانوا أبر به منا ، ولبادرت حكوماتهم وبرلماناتهم إلى استنباط قوانينها ونظمها منه ، ولكنهم انصرفوا عنه إلى القوانين الأجنبية ، وأين هذه القوانين من الفقه الإسلامى الذى أنس به المسلمون ! ومازج أرواحهم زهاء أربعة عشر قرناً ، وفيه علاج الأمراض الاجتماعية البشرية جمعاء علاجاً مستنبطاً من شرع الله تعالى .

فالفقه الإسلامى نظام عام للمجتمع البشرى لا الإسلامى فحسب ، تام الأحكام لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وهو الدستور والقانون الأساسى لدول الإسلام ، وإن انتظام أمر الدول الإسلامية فى الصدر الأول واتساع رقعتها وازدهار المدينة والعلوم فيها إبان تمسكهم



بشريعتهم الغراء لأكبر دليل على ما كان عليه الفقه الإسلامى من صراحة النصوص ، وصيانة الحقوق ، ونزاهة القائمين بتنفيذ أوامره .

فالأمة الإسلامية تحيا بالفقه الإسلامى ، لأن أعظم رابطة تربطها هي رابطة الدين والعقيدة ، وإن جامعة اللغة دائرتها ضيقة لأنها لا تشمل سوى الناطقتين بالضاد مثلاً ، أما دائرة الفقه فمتسعة لأنها تشمل جميع المسلمين فى العالم بقطع النظر عن جنسياتهم ولغاتهم وألوانهم ، فيجب على كل أمة إسلامية أرادت سن قانون أو دستور أن تراعى الفقه الإسلامى وتدور فى دائرته وترتشف من معينه الذى لا ينضب .

ولقد قسم الفقهاء الفقه الإسلامى إلى أبواب للعبادات وأبواب للمعاملات ، وبذلك فرقوا بين المسائل الدينية وبين القانون بمعناه الحديث وهو الخاص بالمعاملات ، فهذه هي الدائرة القانونية والتي يمكن تقسيمها إلى قانون خاص وإلى قانون عام كما هو الحال فى القوانين الحديثة ، فالقانون الخاص يشمل القواعد التى تضبط علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، فأبواب المعاملات والأحوال الشخصية تدخل فى القانون الخاص ، والقانون العام يشمل القواعد التى تسرى على السلطات العامة وعلاقة هذه السلطات بالأفراد ، وإذا أردنا أن نوضح فروع كل قسم من قسمى القانون الخاص والعام سهل علينا ذلك دون كبير مشقة ، فيمكننا أن نجد فى القسم الخاص من الفقه الإسلامى قانوناً مدنياً وقانوناً تجارياً وقانون مرافعات ، وأن نجد فى القسم العام من الفقه الإسلامى قانوناً دستورياً وقانوناً إدارياً وقانوناً جنائياً وقانوناً دولياً عاماً وخاصاً .

فالواجب على الحكومات الإسلامية والحال كما أسلفنا أن تصحو من سباتها وتشوب إلى رشدها ، وتعود فى تشريعاتها إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى يكتب الله لها السلامة ، ويمحو ما أحاط بها من فتن وويلات ، ويغير حالها إلى أحسن حال ، قال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقَوْمُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) (١) ، قال جل وعلا مخاطباً المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء

الذين لا يعلمون " ، وعن سيدنا على رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( ألا إنها ستكون فتنة ، قلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ( إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا { ١ } يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ) (١) ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم )) .

صاغ / ربيع أحمد حسن  
مدرس بكلية البوليس الملكية

## رسائل الدعوة إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلق الله .

عزيزى على أفندى ( ) ،،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، سلاماً أبدياً سرمدياً ، يتزايد وينمو ويتضاعف أبد الآبدين ودهر الدهرين .

وصلنى خطابك ، فألفيت فيه روحاً حنت إليها جوارحى وروحى ، وخفق قلبى خفوق الحب الكلى والاشتياق المحض ، ومما أعجبنى فيه - وكله جميل - أنه كتب براءً من التكلف معبراً عن صرف المعانى ، فله أنت يا على ، وكان الله لك أينما كنت وكيفما كنت .

أبلغك ما بقلبي من شوق إليك لو سألت قلبك عنه لأجابه ، وإنى أترك تقدير ذلك لروحك التى أحببتها ، وسأستمر موالياً لمحبته ، إذ أننى عرفت فيها الهمة وحب الحق ونصرة الفضيلة .

إننى أحب أن أقف على جميع أحوالك ، وأصرح لك أننى لا أتمالك نفسى من الاهتمام بك اهتماماً خاصاً لا أعرف له مصدراً إلا مصدر حياتى ، ووصيتى لك قوله تعالى : ( واستعينوا بالصبر والصلاة ) ( ) ، وقوله تعالى : ( واجعلنا للمتقين إماماً ) ( ) ، فإننى أربأ بك أن تكون فاضلاً فحسب أو تقياً فقط ، بل أرجو أن تكون - يا من أحبه وأحب له الدرجة العليا - إماماً فى الفضل للفضلاء ، وإماماً للمتقين فى التقى .

وإن أجمل فضيلة أن تكون فاضلاً بين غير ذوى الفضل ، وأرجو الله أن يجعلك سبباً فى إنقاذ من انتهج غير سبيل الحق فى ألمانيا من غمرات غرورهم ، وجهلهم بأهم شىء فى الحياة ، فإن الفاضل الذى يؤثر فضله ، ولا يمكن أن يتأثر بباطلٍ ما ، هو الذى سما إلى ذروة الحق المبين

والفضيلة التالدة والمجد الخالد .

تصور حياة الإنسان من يوم ولد إلى يوم يموت ، ثم تصور حاله بعد موته ، وسيقف إذ ذاك على الأسرار التي سترت عنه بخطرسته وانصرافه إلى شهوات نفسه ، وعدم استعمال العقل فى الوصول إلى حقيقة الوجود ، وحقيقة روح الإنسان ، ولمَ وجدت ؟ وما يراد بها ؟ وما طريق تحصيل كمالها ؟ وأداء ما يجب عليها بعد التحقق من ذلك كله ، بما لا ريب فيه ولا يتطرق إليه الشك من الأدلة والحجج ، من غير تعصب ولا محاباة ولا ميل ولا جنف ، فإنه مهما وصل لأية حقيقة من الحقائق العلمية ولم يزل جاهلاً بنفسه ، جاهلاً بسر حياته ، فحسبه بذلك سقوطاً فى هوات النقص ، وهبوطاً فى دركات البعد القصى .

لا أحد من المحققين يقول إن الإله مادة حتى يتوصل إليه بالطرق المادية ، ولكنه ليس وراء المادة فحسب ، بل هو وراء كل وراء ، فلن تصل إليه إلا باستعمال الآلة التى هى وراء المادة فيك وهى العقل ، فناد أولئك الذين ضلوا الوصول إلى الحقيقة من أول خطوة خطوها فى السير إليها ، فسلكوا سبيلاً غير السبيل الموصلة ، ألا هلموا إلى الدلائل العقلية القطعية التى تبقى ولا تتغير ويؤمن نقضها فى أى جيل أو زمن ، البديهيات أو ما تأسس على البديهيات ، وأما غيرها فإنكم لا تأمنون فى يوم من الأيام أن ينقض ما وصلتكم إليه على يد غيركم ، بل قد يكون نقضه على أيديكم ، ولا خلاف فى أن كل ظنى قد يكون الحق خلافه .

ألا أريجوا ضمائركم ، فإن من أسس عقائده على ما يحتمل أن يُنقض فإنه أشد الناس احتياجاً إلى من يعلمه كيف يكون عاقلاً ، ولا مانع من أن تبذلوا جهدكم فى العلم المادى لخدمة الإنسانية ، ولكل ما يمكن أن يصلح له ذلك العلم الظنى ، فإن الدين الحق لا ينافى العلم ، بل هو الذى حرر العقول من الجهل ، وفتح باب العلم على مصراعيه .

أيها الأخ المحبوب مد أصبعك وقل لهم : هذا هو الحق ، وهذا هو الطريق الموصل ، وذلك هو الفوز المبين ، واقبض على تلك الأفتدة الفارة من وجه الحق إلى الظلمة الخالدة بذلك القلب النورانى الجرى وقل لهم : إنكم استدبرتم مهيع<sup>( )</sup> النجاة فى مفازة البحث وكنتم كمن قيل فيه :

## سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

إن الحق فى أعلى عليين مكانة ، وأنتم تجهدون أنفسكم وتبحثون عنه بين الصخور ، فارفعوا رؤوسكم ، وهلموا إلى العقل ، ثم هذا أنتم وهذا ربكم ، إذ ذاك يقودكم الدليل القطعى إلى نعيم اليقين ، فتعلمون بلا ريب أنه سر وجودكم .

إنى أحب أن أكتب لك ، فإن حنينى ووهى إلى رؤيتك لا يُقدر ، والكتابة ربما خفت من لواعج الأفتدة المتتاعة ، وكم فرجت كرب القلوب العانية ، فسلام الله عليك ، وسلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم سلام التواق إليك .

محمد الحافظ التجانى

## التصوف

التصوف أن تعبد الله كما يجب هو لا كما تهوى .

العبادة هي الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، وهي إما عبادة قولية كالذكر والتسبيح ، وإما عبادة فعلية كالصوم والحج ، وإما عبادة قلبية كالصبر والحب في الله والبغض لله .

ولكى تكون تلك العبادات مقبولة عند الله تعالى مأجور صاحبها على فعلها فلا بد من إخلاص العمل فيها لوجه الله وحده ، قال تعالى : ( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا )<sup>(١)</sup> ، وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه )) .

أجل إن الرياء محبط للعمل وقد سماه صلى الله عليه وآله وسلم الشرك الأصغر ، وبين لنا أنه أخفى فى القلب من ديبب النمل على الصفا ، وأن العبادة التي يقصد بها صاحبها الرياء والسمعة لا تكاد تصعد إلى السماء حتى ترد إلى صاحبها مضروباً بها وجهه ملفوفة كما يلف الثوب الخلق ، وكم من أناس يأتون يوم القيامة وقد عملوا من الصالحات الشئ الكثير فيوقفون بين يدى الله عز وجل فينبئهم أنه لم يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ، لأنهم قصدوا بتلك العبادات أن يقال : إن فلاناً عالم أو منفق أو مجاهداً أو ذاكراً إلى غير ذلك .

لكن هناك آفات كثيرة غير الرياء مما يشوب النية فى العمل ، حتى إن الإنسان إذا نظر إلى عمله لا يكاد يرى عملاً واحداً أخلص فيه النية الكاملة لوجه الله تعالى بحيث يستحق عليه القبول والثوبة من الله تعالى ، وفى ذلك قال أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لو قبل الله منى تسبيحة واحدة لعددت نفسى من المسيحين " ، فمن نقص الإخلاص كل علة تدفع العبد على العمل لغير وجه الله عز وجل كمن ذهب ليصلى فى الجماعة فى

المسجد لا للصلاة وحدها ولكن ليقابل أخاً أو صديقاً له أيضاً ، وكمن أرق بالليل فقام ليذكر الله تعالى لا للذكر وحده ولكن ليقضى وقتاً فى العبادة هروباً من سامة الأرق كذلك ، وكمن انخرقت صحته فأراد أن يستعمل الحمية فنوى الصيام لا لقصد الصيام وحده ولكن لأسباب صحية أيضاً ، كل تلك العلل وأمثالها منها ما يشعر به العبد ومنها ما لا يشعر به ، فما دواء ما يشعر به منها ؟ هل يترك العمل المعلول أصلاً أو يعمل العمل ويجتهد فى تخليصه من تلك العلة ؟ والمختار أن يعمل العمل ويجاهد نفسه فى تخليصه من تلك العلة التى عرفها وشعر بها .

وأما ما لا يشعر به من العلل وهى أغلب أعمال الناس فمثاله ما روى عن بعض الصالحين من أن نفسه حدثته مرة بالجهاد فى سبيل الله تعالى فعجب لذلك أيما عجب إذ كيف تأمره النفس التى من شأنها أن تأمر بالسوء والفحشاء أن يجاهد فى سبيل الله ! فعلم أن العلة فى ذلك أن نفسه أرادت أن تتخلص منه بإرساله إلى ميدان القتال ليقتل حتى تنتهى من كثرة مخالفته لها وتضييقه عليها ودوام إذلالها بما هو دائم فيه من فعل الخيرات واجتناب المنهيات ، وكما وقع لسيدنا ومولانا الإمام على كرم الله وجهه لما هم بقتل رجل كافر وأخرج سيفه من غمده ليطعنه فإذا بالكافر يبصق فى وجهه الشريف فأعاد الإمام سيفه إلى غمده وسئل عن ذلك فقال : خشيت أن يكون قتلى ذلك الكافر قد دس لى فيه شئ آخر غير العمل لوجه الله الكريم وهو الغضب من أثر بصقه فى وجهى ، فلما علم الرجل بذلك أسلم ونطق بالشهادتين بعد أن تبين له ما يهدف إليه الدين الحنيف من الإخلاص فى العمل لوجه الله وحده ، وتخليص العمل من جميع العلل والشوائب ما ظهر منها وما بطن ، وكم كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على جلاله قدره وعلو منزلته يخلو بأحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسأله ويستحلفه هل وجد أو علم عليه أى خصلة من خصال النفاق ، فها هو ذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يستعين بأحد رعاياه من المسلمين فى تعرف آفات نفسه وعللها المهلكة حتى يخرج عمله خالصاً لوجه الله وحده ويصبح عابداً لله كما يجب لا كما تهوى نفسه هو ، وذلك هو عين التصوف الذى ورثه أئمة التصوف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

محمد شفيق زكى

## الماديون أخط خلق الله تفكيراً

( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ ) ( )

أولئك الوثنيون الماديون عبدوا صنماً اعترفوا بأنه مدبر الكائنات كلها ومنظمها ، بما فيها من دقائق العلم والحكمة التي تراعى فيها المنافع والمصالح لكل ذرة فى هذا الوجود ، فكل ما فيه هيمى لغرض مخصوص وبقدر مخصوص إن زاد أو نقص اختل الهدف الذى يسير إليه - كل ذلك بأبداع إتقان وأحكم نظام - ومع هذا فذلك الصنم لا يعرف شيئاً عن هذا النظام ولا هذه العلوم والمعارف والحكم ، مع أن غيرهم من الوثنيين استحيوا أن يصفوا أصنامهم بالجهل الكلى الذى وصف به أولئك الوثنيون صنمهم - المادة - ولذلك ادعوا أن أرواحاً عليمة حلت فى أصنامهم ، ولا نعلم نوعاً من الوثنيين جرد إلهه من العلم إلا أولئك الذين تجردوا من العلم باسم العلم ، ففضحوا أنفسهم واستحال عليهم سبيل الاستدلال وسُد فى وجوههم .

فمنشأ الحكمة الحكيم ومنشأ العلم العليم ، ومرجع الوجود إلى العلم لا إلى الجهل ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ ) ( ) ، ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) ( ) .

محمد الحافظ التجانى



## حكم استماع القرآن

اقتضت إرادة الحكيم وقد تفضل على الوجود بنعمتى الإيجاد والإمداد أن لا يدع الإنسان هملاً ، وأن لا يترك الناس سدى ، فأرسل إليهم رسلاً من أنفسهم مبشرين ومنذرين داعين إلى توحيدهِ وعبادته ، وجعل لكل نبي مع الآيات البيّنات معجزة خارقة للعادة تتناسب وعقلية قومه ، وتتناول أهم الأمور التي تسيطر على النواحي الفكرية فى مجتمعه .

فمثلاً كان المصريون الفراعنة مولعين بفنون السحر فكانت معجزة موسى عليه السلام عصا تلقف ما يأفكون فى صورة حية تسعى تلتهم ما يسحرون ، فيؤمن لموسى ورب موسى السحرة قبل غيرهم لتكون العبرة بالغة وليكون الإعجاز باقياً .

ثم ترقى العقلية البشرية نوعاً ما وشغلت بالحكمة والطب فى عهد عيسى عليه السلام فكانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص بل وإحياء الموتى بإذن الله .

ثم سارت العقلية الإنسانية إلى المرحلة الأخيرة من مراحل النمو فشغلت بالعقليات من علوم الحكمة والبيان ، واستعدت لتلقى أعظم رسالة نورانية وهداية ربانية لعهد خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانت معجزته الكبرى هذا القرآن الكريم والنور المبين والتشريع الحكيم ، فتحدى به فطاحل العرب من علماء البيان وجهاذة الكلام ، فشغلوا بأمره واهتموا به أى اهتمام لأنه بهرج بضاعتهم من علوم البلاغة والبيان وزينها رغم اعتزازهم بما وصلوا إليه فى هذا الشأ و رغم علمهم أن صاحبهم أمى ، ولأنه تناول معتقداتهم فسفها ، وتناول معبوداتهم وأصنامهم فحقرها ، وحاولوا أن يدخلوا عليه من أى أبواب التجريح حتى ملوا ، وتلمسوا للرسول أية ثلثة<sup>(١)</sup> إلى أن كلوا .

تحداهم أن يأتوا بكتاب مثله أو سورة أو عشر آيات أو آية واحدة ، ولكن العجز ظل حليفهم والخزى أحاطهم فانخطوا إلى الكفر عناداً والضلال إلحاداً ، ومنهم من هدى الله فآمن بهذا الكتاب المعجز حقاً ، وقد اشتمل على كل ما يكفل سعادة الدنيا والآخرة من توحيد الله

وبيان طرق عبادته ، وذكر أسمائه وصفاته ، وأنبيائه وقصصهم ، وبيان الحلال والحرام ، والجائز والواجب والمستحيل ، وأخبار الأمم السالفة وأحوال أهل العصور الغابرة ، كما ذكر من علوم الغيب كثيراً كأحوال البعث والحساب والعقاب والجنة والنار وأحوالها ( مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) ( )

فإذا كانت هذه عظمتها بل هي بعض نواحي قداسته ، وإذا كان الحق عز وجل الذى نزل الكتاب قد وعدنا بحفظه وبقائه وخلوده ، ولكى لا نفر عنه قد تعبدنا به ، ووعدنا بالثواب على كل شأن لنا معه تلاوة أو حفظاً أو سماعاً ، أو تفكيراً فى مقاصده ومراميه ، أو فهماً فى معانيه ، أو عملاً بأحكامه ، أو علماً أو تعليماً لأحكامه وتعاليمه .

وإذا كان من البدهيات العقلية ضرورة استماعك لمحدثك ، واعتبار المتلهى عن محدثه إما قليل الذوق وإما متكبراً هذا إذا كان الحديث بين ندين مثيلين أو متقاربين ، فكم تكون جريرة المعرض عن سماع كلام رب العالمين ؟ وكم تكون جريمة المتلهى فى حضرته المنصرف عنه بالقييل والقال عند تلاوته ؟

إنها لكبيرة أن يعرض العبد عن الحق عز وجل وهو يقول : يا أيها الناس ، يا أيها الذين آمنوا ، يا عبادى ، يا بنى آدم ، وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ، وسنأتى إن شاء الله تعالى فى فرصة أخرى ببيان حكم الاستماع والانصات عند الفقهاء والعلماء والصوفية وكيف استمع له النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والملائكة والجن ، وكيف كان أثره فيهم ، والله المستعان .

محمد حسن الدق التجانى

بنها

## رأى الحاكم النيسابورى فى الصوفية

فى كتابه المستدرک على الصحيحين ، البخارى ومسلم

والصوفية طائفة من طوائف المسلمين ، فمنهم أخیار ومنهم أشرار لا كما يتوهمه رعاع الناس وعوامهم ، ولو علموا محل الطبقة الأولى منهم من الإسلام وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمسكوا عن كثير من الوقیعة فیهم ، فأما أهل الصفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن أسامیهم فى الأخبار المنقولة إلینا متفرقة ، ولو ذكرت كل حدیث منها بحدیثه وسیاقه متنه لطلال به الكتاب ، ولم یجئ بعض أسانیدها على شرطى فى هذا الكتاب فذكرت الأسامى من تلك الأخبار على سبیل الاختصار .

وهم أبو عبد الله الفارسى ، وأبو عبیدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، وأبو یقظان عمار بن یاسر ، وعبد الله بن مسعود الهذلى ، والمقداد بن عمرو بن ثعلبة وقد كان الأسود بن عبد یغوث تبناه فقیل المقداد بن الأسود الكندى ، وخباب بن الأرت ، وبلال بن رباح ، وصهیب بن سنان بن عتبة بن غزوان ، وزید ابن الخطاب أخو عمر ، وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبو مرثد كناز ابن حصین العدوى ، وصفوان بن بیضاء ، وأبو عیسی بن جبر ، وسالم مولى أبى حذیفة بن عتبة ابن ربیعة ، ومسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ، وعكاشة بن محصن الأسدى ، ومسعود ابن الربیع القارى ، وعمیر بن عوف مولى سهیل بن عمرو ، وعویم بن ساعدة ، وأبو لبابة بن عبد المنذر ، وسالم بن عمیر بن ثابت وكان أحد البکائین من الصحابة وفیه نزلت ( وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا )<sup>(١)</sup> ، وأبو البشر كعب بن عمرو ، وخبیب بن یساف ، وعبد الله بن أنیس ، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارى ، وعتبة بن مسعود الهذلى ، وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ممن يأوى إليهم ویبیت معهم فى المسجد ، وكان حذیفة بن الیمان أيضاً ممن يأوى إليهم ویبیت معهم ، وأبو الدرداء عویم بن عامر ، وعبد الله بن زید الجهنى ، والحجاج بن عمرو الأسلمى ، وأبو هريرة

الدوسى ، وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعاذ بن الحارث القارى ،  
والسائب بن خلاد ، وثابت بن دبيعة رضى الله عنهم أجمعين .

## رأى الإمام الغزالي فى الصوفية

ولنذكر هنا رأى حجة الإسلام أبى حامد الغزالي فى السادة الصوفية رضى الله عنهم ،  
ومكانته معروفة ، وعده العلماء من المجددين المشار إليهم بمحدث (( إن الله يبعث إلى هذه الأمة  
على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها )) ، قال فى كتاب المنقذ من الضلال بعد أن بين بجهته  
عن أهل الحق من الطوائف ومشاركته لكل طائفة فى علمها ثم انتهى إلى صحبة السادة الصوفية  
وسلوك طريق الرياضة والمجاهدة : " ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لى فى أثناء  
هذه الخلوات أمور لا يمكن حصرها واستقصاؤها ، والقدر الذى أذكره ليتنفع به أنى علمت  
يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى ، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم  
أصوب الطرق وأخلاقهم أذكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم  
الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير  
منه لم يجدوا إليه سبيلاً ، وإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور  
مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، وبالجملة فماذا يقول  
القائلون فى طريقة طهارتها - وهى أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ،  
ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة استشراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها  
الفناء بالكلية فى الله ، وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من  
أوائلها ، وهى على التحقيق أول الطريقة وما قبل ذلك كالدهلين للسالك إليه ، ومن أول  
الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء  
ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى  
درجات يضيق عنها نطاق النطق ، ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ

صريح لا يمكنه الاحتراز عنه ، وعلى الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول ، وكل ذلك خطأ ، وقد بينا وجه الخطأ فيه فى كتاب المقصد الأقصى ، بل الذى لابسته تلك الحالة لا ينبغى أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم ، وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الأنبياء ، وكان ذلك فى أول حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أقبل إلى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد ، حتى قالت العرب : إن محمد عشق ربه ، وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها ، فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقيناً ، فمن جالسهم استفاد منهم هذا الإيمان فهم القوم لا يشقى جلسهم ، ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم إمكان ذلك يقيناً بشواهد البراهين على ما ذكرناه فى كتاب عجائب القلب من كتب إحياء علوم الدين ، والتحقيق بالبرهان علم ، وملابسة تلك الحالة ذوق ، والقبول مع التسامع والتجربة بحسب الظن إيمان ، فهذه ثلاث درجات ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ )<sup>(١)</sup> ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لأصل ذلك ، المتعجبون من هذا الكلام ، يسمعون ويسخرون ويقولون العجب أنهم كيف يهدون وفيهم قال الله تعالى : ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ )<sup>(٢)</sup> .

محمد الحافظ التجانى

## أدبيات

قال رجل لعبد الملك بن مروان : إنى أريد أن أسر إليك شيئاً ، فقال عبد الملك لأصحابه : إذا شئتم ، فنهضوا ، فأراد الرجل الكلام ، فقال له عبد الملك : قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ولا تكذبنى فإنه لا رأى لكذوب ولا تغتب عندى أحداً ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين أفتأذن لى فى الانصراف ، قال له : إذا شئت .

وقال بعض الحكماء : ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب ، وحسن الأدب ، وكف الأذى .  
وقال عمرو بن العاص لدهقان نهر تيرى : بم ينبل الرجل عندكم ؟ فقال : بترك الكذب فإنه لا يشرف إلا من يوثق بقوله ، وبقيامه بأمر أهله فإنه لا ينبل من يحتاج أهله إلى غيره ، وبمجانبة الريب فإنه لا يعز من لا يؤمن أن يصادف على سواة ، وبالقيام بحاجات الناس فإنه من رضى الفرج لديه كثرت غاشيته .

وقال بزرجمهر : من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان قبل وضيعاً ، وبعد صيته وإن كان خاملاً وساد وإن كان غريباً ، وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقترأ .

من كتاب اللمع لأبي نصر السراج رضى الله عنه

## باب فى ذكر غلط الحلولية

قال الشيخ رحمه الله : " بلغنى أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى ذكره اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ، فإن صح عن أحد أنه قال هذه المقالة وظن أن التوحيد أبدى له صفحته فيما أشار عليه فقد غلط فى ذلك ، وذهب عليه أن الشئ فى الشئ مجانس للشئ الذى حل فيه ، والله سبحانه وتعالى باين والأشياء باينة منه بصفاتهما ، والذى أظهر فى الأشياء فذلك آثار صنعته تعالى ودليل ربوبيته ، لأن المصنوع يدل على صانعه والمؤلف يدل على مؤلفه ، وإنما ضلت الحلولية إن صح عنهم ذلك لأنهم لم يميزوا بين القدرة التى هى صفة القادر وبين الشواهد التى تدل على قدرة القادر وصنعة الصانع فتاهت عن ذلك ، فبلغنى أن منهم من قال بالأنوار ، ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات نظراً يجهل ، ومنهم من قال حال فى المستحسنات وغير المستحسنات ، ومنهم من قال حال فى المستحسنات فقط ، ومنهم من قال على الدوام ، ومنهم من قال وقتاً دون وقت فيما بلغنى ، فمن صح عنه شئ من هذه المقالات فهو ضال بإجماع الأمة ، كافر يلزمه الكفر فيما أشار إليه .

والأجسام التى اصطفها الله تعالى أجسام أوليائه وأصفيائه اصطفها لطاعته وخدمته وزينها بهدايته وبين فضلها على خلقه ، والله تعالى موصوف بما وصف به نفسه كما وصف به نفسه ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) ( ) ، والذى غلط فى الحلول غلط لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق وبين أوصاف الخلق ، لأن الله تعالى لا يحل فى القلوب ، وإنما يحل فى القلوب الإيمان به والتصديق له والتوحيد والمعرفة ، وهذه أوصاف مصنوعاته من جهة صنع الله بهم لا هو بذاته أو بصفاته يحل منهم ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً " .

## باب فى ذكر من غلط فى فناء البشرية

قال الشيخ رحمه الله : " أما الذين غلطوا فى فناء البشرية سمعوا كلام المحققين فى الفناء فظنوا أنه فناء البشرية فوقعوا فى الوسوسة ، فمنهم من ترك الطعام والشراب وتوهم أن البشرية هى القلب ، والجثة إذا ضعفت زالت بشريتها فيجوز أن يكون موصوفاً بصفات الإلهية ، ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة أن تفرق بين البشرية وبين أخلاق البشرية ، لأن البشرية لا تزول عن البشر كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود ولا لون البياض عن الأبيض ، وأخلاق البشرية تبدل وتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق ، وصفات البشرية ليست هى عين البشرية ، والذى أشار إلى الفناء أراد به الفناء رؤيا الأعمال والطاعات لفناء رؤيا العبد لقيام الحق للعبد بذلك ، وكذلك فناء الجهل بالعلم وفناء الغفلة بالذكر فى فناء البشرية بالبشرية صفة من صفات البشرية ، والذى يتوهم أنه ذهاب النفس وزوال التلوين عن العبد وقتاً دون وقت وذهاب البشرية فقد غلط وجهل عن وصف البشرية ، لأن التغيير والتلوين عن صفة البشرية فإذا زال عنها التغيير والتلوين فقد تغير الآن عن صفتها وتلون عن معناها لأنها إذا لم تتغير ولم تتلون فقد تغير وتلون عن صفتها ، والله أعلم " .

## باب ذكر من غلط فى الرؤية بالقلوب

قال الشيخ رحمه الله : " بلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى دار الدنيا كالرؤيا بالعيان فى دار الآخرة ، ولم أر أحداً منهم ولا بلغنى عن إنسان رأى منهم رجلاً له محصول ، ولكن رأيت لأبى سعيد الخراز رحمه الله كتاباً كتبه إلى أهل دمشق يقول فيه : بلغنى أن بناحيتمكم جماعة قالوا : كذا وكذا ، وذكر قولاً قريباً من هذا القول ويشبهه أن فى زمانه قوماً غلطوا فى ذلك وضلوا وتاهوا ، والذى قال أهل الحق والإصابة فى هذا المعنى وأشاروا إلى رؤية القلوب إنما أشاروا إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان وحقيقة اليقين كما روى فى حديث حارثة حيث يقول : كأنى أنظر إلى عرش ربي بارزاً كما جاء فى الحديث بطوله حتى قال النبى



صلى الله عليه وسلم : (( عبد نور الله تعالى قلبه )) أو كما قال كما جاء فى الرواية ، والذي تاه وتوسوس فى هذا المعنى قوم من أصحاب الصبيحى من أهل البصرة كما بلغنى ، وقد رأيت جماعة منهم وذلك أنهم حملوا على أنفسهم المجاهدة والسهر وترك الطعام والشراب والانفراد والخلوة وكثرة التوكل ، وصحبهم الإعجاب مع ذلك بما هم فيه فاصطفاهم إبليس لعنه الله فخيّل إليهم كأنه على عرش أو سرير وله أنوار تتشعشع فمنهم من ألقى إلى بعض الأستاذين الذين يعرفون مكاييد العدو فعرفوهم ذلك ودلوهم وردوهم إلى الاستقامة كما حكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أن بعض تلامذته قال له يوماً يا أستاذ : أنا فى كل ليلة أرى الله بعينى رأسى ، فعلم سهل رحمه الله أن ذلك من كيد العدو فقال له : يا حبيبى إذا رأيت الليلة فابزق عليه ، قال : فلما رآه من ليلته بزق عليه ، قال : فطار عرشه وأظلمت أنواره ، وتخلص من ذلك ذاك الرجل ولم ير شيئاً بعد ذلك ، ومن لم يقع إلى الأستاذين فيدفع ذلك ويتكلم بالهوس وينسلخ عن دينه بالظنون الكاذبة إلى آخر عمره ، وبلغنى أيضاً أن جماعة هربوا من عبد الواحد بن زيد حيث كان يأمرهم بالمجاهدة والعبادة وأكل الحلال والزهد فى الدنيا ، وبلغنى أن عبد الواحد رحمه الله رأى واحداً منهم بعد مدة فسأله عن خبره وخبر أصحابه ، فقال : يا أستاذ نحن كل ليلة ندخل الجنة ونأكل من ثمارها ، قال : فقال له : خذونى الليلة معكم ، قال : فأخرجوه معهم إلى الصحراء ، فلما جن الليل فإذا يقوم عليهم ثياب خضر وإذا بساتين وفواكه ، قال : فنظر عبد الواحد إلى أرجل هؤلاء الذين عليهم الثياب الخضر فإذا هو مثل حوافر الدواب فعلم أنهم شياطين ، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم : إلى أين تذهبون ؟ أليس إدريس النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الجنة لم يخرج منها ؟ قال : فلما أصبحوا فإذا هم على مزابل بين روث الدواب وبعر الجمال ، فتابوا ورجعوا إلى صحبة عبد الواحد بن زيد رحمه الله .

وينبغى أن يعلم العبد أن كل شئ رآته العيون فى دار الدنيا من الأنوار أن ذلك مخلوق ليس بينه وبين الله تعالى شبه ، وليس ذلك صفة من صفاته بل جميع ذلك خلق مخلوق ، ورؤية القلوب بمشاهدة الإيمان وحقيقة اليقين والتصديق حق لقول النبى صلى الله عليه وسلم :

(( أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك )) والذى قال من التابعين : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، أشار إلى حقيقة يقينه وصفاء وقته وتكلم بذلك من غلبة وجده ، وليس الخبر كالمعاينة فى جميع المعانى فى الدنيا والآخرة ، وقد قيل فى قول الله تعالى : ( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى )<sup>(١)</sup> يعنى لم تكذب عينه ما رآه بقلبه ولم يكذب ما رآه بعينه وهذا خصوصى للنبي صلى الله عليه وسلم ليس لأحد غيره .

## أدبيات

عبد المطلب بن هاشم وأمّية :

دخل دغفل النسابة على معاوية بن أبى سفيان ، فقال له : من رأيت من عليّة قريش فى  
الجاهلية ؟

قال : رأيت عبد المطلب بن هاشم - جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وأمّية بن  
عبد شمس - جد معاوية - .

فقال : صفهما لى ، فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه فى جبينه نور  
النبوة وعز الملك ، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب .

قال : صف لى أمّية ، قال : رأيت شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان ، فقال  
معاوية : مه ذاك ابنه أبو عمرو .

يرحم الله عمر :

بلغ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن أحد القرشيين قال :

اسقنى شربة ألد عليها واسق بالله مثلها ابن هشام

فغزله وأقدمه عليه ، فلما دخل عليه قال : أنت القائل : اسقنى شربة ألد عليها البيت؟ قال :  
نعم يا أمير المؤمنين

عسلاً بارداً وماء سحاب إننى لا أحب شرب المدام

قال : الله الذى لا إله إلا هو ؟ قال : الله الذى لا إله إلا هو ، قال : ارجع إلى عملك .

خير ما يرزقه العبد :

قال بعض الملوك لبعض وزرائه - وأراد محتته - ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال الوزير: عقل

يعيش به ، قال الملك : فإن عدمه ؟ قال : أدب يتحلى به ، قال : فإن عدمه ؟ قال : مال يستره ،

قال : فإن عدمه ؟ قال : صاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد ، قلت : لقد أغفل هذا الوزير عماد الخير وأساس السعادة ، ترك أفضل ما يرزقه العباد وهو الدين وتقوى الله فإنهما نعم السعادة ، وهما أساس العقل والأدب والمال ، ولا صلاح لأحد من هذه الثلاثة بدونه .

### وصف صديق :

المكارم متجسدة بين ثيابه ، عقل حكيم ، وقلب رحيم ، وجنان حاضر ، وعلم زاخر ، وضمير حي ، وطرف حيي ، وبداهة سبابة كأنما ترى الحقائق المستورة عياناً ، ولسان جمع بين البيان والفصاحة والمعنى الحكيم السامى يضم القصد والحق ، ونفس مؤمنة تخشى الله فسطع نورها على ظاهره فكأنما على وجهه مسحة ملك له خصوم لا يذكر لهم سيئة ، وإن ذكرهم يذكر ما فيهم من محاسن يستر عوراتهم ، وقد يعلمون أنه يعلمها ويسترها ولا يتخرجون أن يلجأوا إليه لما يوقنون فيه من سماحة ، هو لأصدقائه خير من كل أحد منهم لكل أحد ، يجد كل فى كنفه الواسع موضع أمين ، إنه لصديق رضى الله عنه .

لى صديق هو عندى عوز	من سداد لا سداد من عوز
وجهه يذكرنى دار البلى	كلما أقبل نحوى وجمز
وإذا جالسنى جرعنى	غصص الموت بكرب وعلز
يصف الود إذا شاهدى	فإذا غاب وشى بى وهمز
كحمار السوء ييدى مرحاً	فإذا سيق إلى الحمل غمز
ليتنى أعطيت منه بدلاً	بنصيبى شر أولاد المعز
قد رضينا بيضة فاسدة	عوضاً منه إذا البيع نجمز

الأستاذ / عبد الله الصاوى

## يحيى بن طالب الحنفى والحنين إلى الأوطان :

كان يحيى بن طالب من بنى حنيفة شاعر أهل اليمامة وكان سخياً كريماً يقرى الأضياف ويعظم الطعام ، فركبه دين فادح فغادر اليمامة إلى بغداد يسأل الرشيد قضاء دينه ، فأراد رجل من أهل اليمامة الشخوص من بغداد إلى اليمامة فشيعة يحيى بن طالب ، فلما جلس الرجل فى الزورق ذرفت عينا يحيى وأنشأ يقول :

أحقاً عباد الله أن لست ناظراً  
إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة  
أقول لموسى والدموع كأنها  
ألا هل لشيخ وابن ستين حجة  
كأن فؤادى كلما مر راكب  
يزهدنى فى كل خير صنعتة  
فواحزنا ماذا أجن من الهوى  
تغربت عنها كارهاً فتركتها  
إلى قرقرى يوماً وأعلامها الخضر  
دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر  
جداول ماء فى حدائقها تجرى  
بكى طرباً نحو اليمامة من عذر  
جناح غراب رام نهضاً إلى وكر  
إلى الناس ما جربت من قلة الشكر  
ومن مضمير الشوق الدخيل إلى حجر  
وكان فراقها أمر من الصبر

حجر قصبة اليمامة ، وقال أيضاً :

أيا أثلاث القاع من بطن توضح  
ويا أثلاث القاع قد مل صحبتي  
ويا أثلاث القاع قلبى موكل  
ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة  
فأشرب من ماء الحجلاء شربة  
أحدث عنك النفس أن لست راجعاً  
حينئذى إلى أطلالكن طويل  
مسيرى فهل فى ظلكن مقيل  
بكن وجدوى غيركن قليل  
إلى قرقرى قبل الممات سبيل  
يداوى بها قبل الممات عليل  
إليك فحزنى فى الفؤاد دخيل

أريد هبوطاً نحوكم فيردنى إذا رمته دين على ثقیل

الججیلاء : ماء بالیمامة وأصله الماء الظلیل الذی لا تأخذه الشمس ، وقرقرى : موضع بالیمامة .

فغنى هارون الرشید ذات لیلة بشعر یحیی هذا ، فقال یقضی دینه ، فطلب فإذا هو قد مات قبل ذلك بشهر ، ومن شعره قوله :

یا صاحبی فدت نفسی نفوسکما عوجا على صدور الأبغل الشثن  
ثم ارفعا الطرف ننظر صبح خامسة بقرقرى ما غناء النفس والوطن  
یا لیت شعری والإنسان ذو أمل والعین تذرف أحياناً من الحزن  
هل أجعلن یدی للخذ مرفقة على شععب بین الحوض والعطن

فحكى عن أبى فراس بن الهیثم بن فراس الکلابی قال : كنت مع أبى ونحن قاصدون إلى الیمامة فلما رأیناها لقینا رجل ، فقال له أبى : أين قرقرى ؟ قال : خلفك ، قال : فأین شععب ؟ قال : بإزائه ، قال : أرنى ذلك ، فأراه إياه حتى عرفه ، فقال : ارجع بنا إلى الموضع ، فقلت له : یا أبت قد تعبنا وتعبت ركائبنا فما هنالك ؟ قال : إنك لأحمق ارجع ویلك ، فرجعت معه حتى أتى شععبا وصار إلى الحوض والعطن فأناخ راحلته ، وقال : أنخ ، فأنخت ونزل فنظر إلى شععب وقرقرى ساعة ، ثم اضطجع بین الحوض والعطن اضطجاعة ویده تحت خده ، ثم قام فركب ، ثم قلت : یا أبت ما أردت بهذا ؟ فقال : یا جاهل ، أما سمعت قول یحیی بن طالب :

وهل أجعلن یدی للخذ مرفقة على شععب بین الحوض والعطن

أفلیس عجزاً أن نكون قد أتینا علیهما وهما أمنية الممتنى فلا ننال ما تمناه منهما وقد قدرنا علیه ؟ فجعلت أعجب من قوله وفعله .

وحكى عن بعض بنى حنیفة قال : كان یحیی بن طالب جواداً حمالاً لأثقال قومه ومغارمهم ،

ما تشاء أن ترى خصلة جميلة إلا رأيته فيها ، فدخلت عليه وهو فى آخر رمق ، فسألته عن خبره وسليته ، وقلت له ما طابت به نفسه ، فأشدد أبياتاً منها :

وقفت على رأس اليفاع ولم أكن      كمن لاذ من خوف القرى بالحواجب  
فلا تسأل الضيفان من هم وأذنبهم      هم الناس من معروف وجه وجانب  
وقولوا إذا ما الضيف حل بنحوه      الا فى سبيل الله يحمى بن طالب

### حنين بلال بن رباح إلى وطنه :

روى أنه لما هاجر بلال بن رباح رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعك أبو بكر وبلال ، قالت عائشة : فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله      والموت أدنى من شركاء نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبين ليلة      بواد وحولى إذخر وجليلى  
وهل أردن يوماً مياه مجنة      وهل يبدون لى شامة وطفيل

ويروى ألا ليت شعرى هل أبيت ليلة بفتح ، وفتح موضع خارج مكة يقول فيه الشاعر :

ماذا بفتح من الاشراف والطيب      ومن جوار نقيات رعائيب

أما شامة وطفيل فهما عينان ، وقد كان يظن أنهما جبلان ، قال فى الروض الأنف : ويقوى

ذلك قول كثير :

وما أنس من الأشياء لا أنس موقفاً      لنا ولها بالخبث<sup>( )</sup> خبت طفيل

## حنين رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وطنه :

روى أن أصيلاً الهذلي ويقال الغفاري قدم المدينة من مكة ، فقالت له عائشة : يا أصيل كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها حين ابيضت أباطحها وأرغل ثمامها وامتش وأغدق إذخرها ، فقالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله ما يقول أصيل ؟ فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله وسلم وقال : (( لا تشوقنا يا أصيل ، دع القلوب تقرر )) .